



حفل افتتاح سفارة جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية في تركيا. مصطفى كمال باشا أتاتورك، وإلى يمينه يقف السفير الأذربيجاني إبراهيم عيلوف. أنقرة، 18 نوفمبر عام 1921

إطلاق "عملية باكو"، التي أصبحت تمثل عاملاً فعالاً في الترويج للقيم الإنسانية العليا على المستوى العالمي. وبكل اليقين، يمكن التأكيد على أن الدبلوماسية الأذربيجانية اليوم، يمكنها النظر بفخر وعِزة إلى ذلك الدرب الشائك الذي قطعه عبر قرن من الزمن، لتكرر كلمات الرئيس إلهام علييف في منتدى باكو العالمي المنعقد عام 2018: "أعتقد أن الفرصة لو أُتيحت لمؤسسي أول جمهورية ديمقراطية أذربيجانية كي يشاهدوا التطور الذي حققته أذربيجان اليوم، فسوف يفتخرون بنا بكل تأكيد، كما نفتخر نحن بهم. إننا نكشف لأنفسنا وللعالم أجمع، أن الناس يمكنها الوصول إلى النجاح فقط بالاستقلال، ولا يمكنهم تحقيق ذلك النجاح إلا إذا كان مصيرهم في قبضة أيديهم. وتمثل أذربيجان مثالا يُحتذى به على هذا الأمر".

التعاون الإسلامي، ومجلس تعاون الدول الناطقة بالتركية، ورابطة الدول المستقلة، ومنظمة الديمقراطية والتنمية الاقتصادية، والمجلس الأوروبي، ومنظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود، وهذه مجرد بعض الأشكال متعددة الأوجه لتلك الأنشطة.

عند الحديث عن مكانة ودور أذربيجان في منظومة العلاقات الدولية، تجدر الإشارة إلى أن بلدنا لا يعمل فقط باعتباره مستقبلاً للإشارات الصادرة عن مراكز القوة الرئيسية، ولكن أيضاً باعتباره منتجاً وفاعلاً نشطاً، يقدم إسهامه الملموس في تحديد جدول الأعمال العالمي. وعبر السنوات الأخيرة، ترسخت مكانة باكو باعتبارها أحد المواقع الرائدة في تعزيز قيم حوار الثقافات والأديان والحضارات. في عام 2008، وبمبادرة من الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف، تم

سفارة جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية في تركيا.
أنقرة، عام 1921



الكشف عن إمكانات الطاقة الغنية في بلادنا، فجنبا إلى جنب خط الأنابيب الرئيسي باكو - تبليسي - جيهان لتصدير النفط، بعائداته الوفيرة خلال بضع سنوات، يجرى العمل بنشاط للانتهاء من الأعمال الخاصة بممر الغاز الجنوبي. وتقوم أذربيجان بأنشط دور لها في الحوار بين دول بحر قزوين، والذي أثمر التوقيع في عام 2018 على اتفاقية الوضع القانوني لبحر القزوين، عن طريق تهيئة الظروف المواتية لتحويله إلى منطقة للسلام وحسن الجوار، والوثام والتعاون. وقد أتاح لنا كل هذا التقليل إلى أدنى الحدود من الآثار السلبية لمظاهر الأزمة التي قوضت النمو الاقتصادي العالمي.

على هذا النحو، فإن القدرات الداخلية المتراكمة تتحول بصورة متتالية إلى نجاحات تحققت أذربيجان عبر مختلف المبادرات والمنظمات الدولية. وهكذا، وبعد حصولها على العضوية غير الدائمة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة خلال عامي 2013-2012، تم انتخاب أذربيجان بأغلبية 176 صوتا للانضمام إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة لفترة الأعوام 2017-2019. ومنذ عام 2019، تباشر أذربيجان مهام رئاسة حركة عدم الانحياز التي انضمت إليها في عام 2011، وهي ثاني أكبر المنصات الدولية بعد الأمم المتحدة. ويمثل أمرا بالغ الدلالة أن تقوم دولة حديثة العضوية نسبيا في المنظمة برئاستها. كما يخلق الخلفية المواتية والملائمة لعمل التمثيل الدبلوماسي في الخارج والدفاع عن مصالحنا القومية، ذلك التقدم الملموس الذي تم إحرازه في تعزيز التعاون مع الاتحاد الأوروبي، وكذلك التطور المستمر للتعاون المشترك مع حلف الناتو، ومنظمة شنغهاي للتعاون، وجامعة الدول العربية، والاتحاد الأفريقي، ومنظمة البلدان الأمريكية. في الوقت نفسه، تشارك باكو الرسمية بأقصى نشاطها في التعاون المشترك مع الهيئات الدولية التي تحظى بعضويتها، مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، ومنظمة

وحل النزاعات الدولية بالوسائل السلمية، واحترام حرمة حدود الدول ووحدة أراضيها. ومع ذلك، فإن مثل هذا السلوك قد قاد هذا البلد إلى طريق مسدود لا يمكن الخروج منه إلا بتطبيع العلاقات مع الجيران والتخلي عن نوايا الضم التوسعية. وكلما أسرعت القيادة الأرمينية بإدراك هذه الحقائق الدامغة، وإظهار الرغبة والإرادة السياسية للبدء في انسحاب قواتها المسلحة من أراضي بلادنا التي احتلتها بالقوة، كلما صار من الممكن البدء في التحرك نحو تهيئة الظروف الملائمة لتحقيق السلام والأمن، وضمان الرخاء والتنمية المستدامة في المنطقة.

من ناحية أخرى، وبغض النظر عن عوامل العدوان الخارجي، فإن السياسة الخارجية الرشيدة والمتوازنة متعددة الاتجاهات التي تنتهجها الحكومة الأذربيجانية، تضمن التعزيز المتواصل للمكانة الدولية لأذربيجان وأهميتها في منظومة العلاقات الدولية. وفي تطويرها للتعاون المشترك ذي المنفعة المتبادلة القائم على التكافؤ سواء في الشكل الثنائي أو متعدد الأطراف، فإن أذربيجان تمضي هادفة على طريق تلبية احتياجات التقدم الوطني، من خلال تعزيز العلاقات والشراكات الخارجية. لذلك، يتطور بنجاح التعاون متنوع الأوجه مع جميع الدول المتاخمة، باستثناء أرمينيا بطبيعة الحال. كما توفر أذربيجان فرص العبور لتنفيذ المشاريع اللوجستية في إطار الممرات بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب، وبين الجنوب والغرب. وتستمر عمليات



العدوان العسكري من جانب جمهورية أرمينيا يمثل المشكلة الأولى الأكثر أهمية التي تسعى جمهورية أذربيجان باعتبارها عضوا مسؤولا في المجتمع الدولي، إلى تسويتها بالطرق السلمية، وذلك عبر المفاوضات المكثفة الموضوعية الموجهة نحو تحقيق النتائج الملموسة. فكما هو معلوم، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في عام 1993 أربع قرارات: 822 و 853 و 874 و 884، حيث أكد فيها بشكل قاطع على دعمه لسيادة وحدة أراضي أذربيجان، وتبعية إقليم قاراباغ الجبلي إلى أذربيجان، كما أدان العدوان والاستيلاء على أراضي البلاد. وطالب بالانسحاب غير المشروط لقوات الاحتلال.

لسنوات عديدة، حاولت جمهورية أرمينيا بشتى السبل الممكنة نسف عملية تسوية النزاع، وتجنب الوفاء بالتزاماتها الدولية حول عدم استخدام القوة أو التلويح باستخدام القوة،



لقاء أتروبات مع الإسكندر الأكبر. للرسم: إ. محمديف. المتحف القومي لتاريخ أذربيجان

وإن كان على مستوى رمزي بحت، ثم تحولت تلك المفوضيات إلى وزارات في عام 1946. ومع ذلك، فحتى عام 1968، لم تحظ أنشطة هذه الإدارات بالاستقلالية، إلى درجة أن الشخص الذي شغل منصب الوزير في معظم الجمهوريات الاتحادية، كان يؤدي مقتضيات وظيفته بالإضافة إلى شغله بعض المناصب الأخرى في الوقت نفسه، باستثناء أوكرانيا وبيلاروسيا اللتان تمتعا بالتمثيل الدبلوماسي في الأمم المتحدة. لكن باكو منذ عام 1968 أصبحت العاصمة الأولى التي تفرغ فيها وزير الخارجية لشؤون العمل الدبلوماسي فقط.

بشكل عام، وكما جرى في العديد من المجالات الأخرى خلال الفترة التي ترأس فيها حيدر علييف أذربيجان السوفيتية، تميز أداء وزارة الخارجية بالتنظيم المهني الرفيع، والذي تشكلت لاحقا على أساسه الكوادر الدبلوماسية لجمهورية أذربيجان الفتية.

بعد استعادة أذربيجان استقلالها عام 1991، وحصولها على العضوية الكاملة في منظمة الأمم المتحدة يوم الثاني من مارس لعام 1992، اصطدمت أذربيجان بالعدوان الخارجي من جمهورية أرمينيا، مثلما جرى في بداية القرن العشرين. وبهدف الاستيلاء على أراضي جمهورية أذربيجان، تزامن الاستخدام غير الشرعي للقوة مع التطهير العرقي واسع النطاق، والإقدام على انتهاكات الحقوق الإنسانية الدولية، بما في ذلك مذابح الإبادة الجماعية في خوجالي. ومنذ أكثر من ربع قرن، تقاوت أذربيجان في سبيل استعادة وحدة أراضيها الإقليمية وحقوق المشردين داخليا في العودة إلى مواطنهم الأصلية في إقليم قاراباغ الجبلي التابع لأذربيجان والمناطق الإدارية المحيطة به التي ما زالت واقعة تحت الاحتلال.

يتضح جليا في ظل الأوضاع الحالية، أن القضاء على آثار

وصول سفير دولة شيروان شاه إلى موسكو.
للرسم: إ. محمديف



الشاه إسماعيل الأول يستقبل سفيرا أجنبيا. منمنمة من تبريز، القرن 17

الدولية بسرعة تبدل الأحداث في صندوق الدنيا، إلا أن أذربيجان أظهرت قدرتها على إقامة الاتصالات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية والتركيز نحو تطوير هذا النوع من التفاعل. ولم تستطع حتى تلك القيادة البلشفية الجديدة التي وصلت إلى السلطة في أبريل لعام 1920، أن تتجاهل تلك الأوضاع. لذلك، وحتى نهاية عام 1921، مارست عملها وزارة خارجية جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية، وظلت تعمل في باكو بعثات عدد من الدول الأجنبية حتى عام 1923، كما عملت في أنقرة مفوضية أذربيجان السوفيتية. لكن بعد ذلك، ومع تشكيل جمهورية القوقاز الفيدرالية السوفيتية الاشتراكية وانضمامها إلى الاتحاد السوفيتي، تم اتخاذ مسار آخر لتقييد نشاط السياسة الخارجية لأذربيجان وروابطها مع العالم الخارجي. وظلت أذربيجان حتى عام 1944، مثلها في ذلك مثل جمهوريات الاتحاد الأخرى، محرومة حتى من الحقوق الشكلية للحفاظ على الاتصالات السياسية الخارجية. غير أنه بحلول عام 1944 في موسكو، وفي انتظار تحقيق النصر النهائي بالحرب العالمية الثانية، تقرر إحياء عمل المفاوضات الشعبية للشؤون الخارجية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي،



الشاه عباس الأول يستقبل سفيرا أجنبيا. منمنمة من تبريز، القرن 17

عام 1920. لكن للأسف، فإن سقوط جمهورية أذربيجان الديمقراطية تحت ضغط قوات الجيش الأحمر الحادي عشر في 28 أبريل لعام 1920، لم يسمح بسير عملية الاعتراف الدولي باستقلال أذربيجان إلى نهايتها المنطقية وهي - الانضمام إلى عصبة الأمم.

على الرغم من مرور ثلاثة وعشرين شهرا من التاريخ المضطرب لجمهورية أذربيجان الديمقراطية، حيث تغير تشكيل مجلس الوزراء بها خمس مرات، وتبدلت الأوضاع

وبريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيطاليا، والسويد، وسويسرا، وبلجيكا، وبلاد فارس، وبولندا، وأوكرانيا وغيرها من الدول الأخرى. كما كانت جمهورية أذربيجان الديمقراطية تتمتع بالمفاوضات الدبلوماسية والقنصلية في جورجيا، وأرمينيا، وتركيا، وأوكرانيا ودول أخرى، ناهيك عن وفدها في مؤتمر باريس للسلام. وبفضل أنشطة حكومة جمهورية أذربيجان الديمقراطية وتواصلها الدائم وتفاعلها مع الدول الأجنبية، تم الاعتراف بجمهورية أذربيجان الديمقراطية رسمياً من قبل المجلس الأعلى لمؤتمر باريس للسلام في 11 يناير

علاقات حسن جوار مع جميع أعضاء المجتمع الدولي“. وبطبيعة الحال، فقد تزامنت فترة وجود جمهورية أذربيجان الديمقراطية مع مرحلة حصاد نتائج الحرب العالمية الأولى، المتمثلة في التوسع البلشفي والعدوان من جانب أرمينيا المجاورة، واتسمت تلك الفترة العصيبة بقدر كبير من الاضطراب الذي ترك تأثيره الحاسم فيما يتعلق بتطور العلاقات السياسية الخارجية لأذربيجان. وفي ذلك الوقت، كان هناك ست عشرة بعثة دبلوماسية تعمل في باكو لست عشرة دولة، من بينها على سبيل المثال، الولايات المتحدة الأمريكية،



وحدة اجتماعية سياسية من نوع جديد هي - الأمة. واستمرت هذه العملية بالتزامن مع العديد من بلدان أوروبا الشرقية، وأثمرت لاحقا إعلان أذربيجان عن الدولة التي تجسد نموذجا للجمهورية البرلمانية. وقد تضمنت الوثيقة التي أقرها المجلس الوطني في 28 مايو لعام 1918 حول استقلال أذربيجان: "تضمن جمهورية أذربيجان الديمقراطية داخل حدودها، الحقوق المدنية والسياسية لجميع المواطنين، دون التمييز بين الأعراق والعقائد والمركز الاجتماعي والجنس- ذكرا كان أم أنثى". كما أكدت الوثيقة بوجه خاص على السعي نحو "إقامة

والتي عاشت في القرن الخامس عشر، ووالدة أوزون حسن - الأمير من سلالة "أق قيونلو"، وصاحبة القدر الرفيع من الفطنة والإلمام بشؤون الدولة، مما جعلها تقوم دوما بمهام عقد المفاوضات الحيوية، حتى أنها وقعت اتفاقية مع السلطان العثماني محمد الثاني، وبالتالي حفرت اسمها في التاريخ باعتبارها المرأة الأولى في العالم الإسلامي التي عملت في السلك الدبلوماسي.

كانت هذه هي القاعدة التاريخية الثرية، التي انطلق منها الشعب الأذربيجاني في القرن التاسع عشر نحو التحول إلى





لقد صارت المائة عام المنصرمة تمثل من حيث الجوهر، تاريخاً لتشكل وتطور الدولة الحديثة في أذربيجان. وتجدر الإشارة إلى أن مرحلة قيام الجمهورية في تاريخنا لم تنشأ من الفراغ، بل تم الإعداد لها بصورة عضوية من قبل كل المقدمات السابقة. حيث أن موقعها على أحد المفارق المحورية لطريق الحرير العظيم، جعل أذربيجان عبر آلاف السنين ومن خلال نموذجها الخاص، تشعر بحقيقة عبارة نابليون القائلة: "إن الجغرافيا هي التي تحدد المصير". كما أن آليات السياسة الخارجية لتعزيز المصالح الخاصة في مثل هذه البيئة الصعبة، والتنسيق مع تطلعات الدول المجاورة والبعيدة، لم يكن بأي حال من الأحوال أمراً غريباً عن الأجيال القديمة من أسلافنا. وتحتفظ مختلفة الدول في سجلاتها الأرشيفية بالعديد من الوثائق حول تبادل السفارات بين الدول الأذربيجانية في العصور الوسطى، وبين بلاط بلدان أوروبا وروسيا وآسيا. وكانت سارة خاتون واحدة من أبرز شخصيات ذلك العصر،

الإمبراطوريات السابقة التي هلكت في لهيب حرائق الحرب العالمية الأولى، واستعادة دولة أذربيجان استقلالها، في شكل أول جمهورية مستقلة في المشرق الإسلامي، ثم ضياع ذلك الاستقلال، ووقوعها لتصبح جزءاً من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لسبعة عقود، ثم تحقيق الإنجاز التاريخي الجديد، وهو - إعلان الجمهورية الأذربيجانية في عام 1991. ومنذ أكثر من ربع قرن، وهي تعمل على تعزيز مكانتها في المنطقة وفي العالم ككل.

على الرغم من حقيقة وقوع الشعب الأذربيجاني طوال تلك الفترة، في محيط تقاطع مصالح القوى العالمية، حيث كثيراً ما تصادمت مصالحها في مختلف البقاع حتى وصلت إلى المواجهات العلنية بين بعضها بعضاً، إلا أن ذلك الشعب أظهر إرادة لا تُقهر خلال خضم الأحداث التاريخية وفواصلها الحادة، وذلك دفاعاً عن حريته، وتعبيراً جلياً عن التقاليد الثرية المميزة لدولته، وعن تواصلها وتجذرها في الوعي الوطني.

مائة عام من العمل الدبلوماسي لجمهورية أذربيجان: الدفاع عن المصالح القومية عند مفترق طرق العصور والمواقع

تحديداً، باعتباره القاعدة التي أُقيم عليها يوم العاملين في السلك الدبلوماسي لأذربيجان.

تفصلنا مائة عام عن تلك الفترة التي خطت فيها جمهورية أذربيجان الديمقراطية أولى خطواتها على الساحة الدولية. كان قرنا جامحا على نحو لا يُصدق، حملت سنواته انهيار

التاسع من يوليو لعام 1919، قامت حكومة جمهورية أذربيجان الديمقراطية بإقرار التعليمات المؤقتة للأمانة الخاصة بوزارة الخارجية. وطبقا

للمرسوم الصادر عن رئيس جمهورية أذربيجان إلهام علييف بتاريخ 24 أغسطس لعام 2007، تم الأخذ بهذا التاريخ

في

